ولم تقدر على الطهارة فتشتغل بالطعن في دين الذي يحسدك وفي ورعه وتقول انما غضبت عليه
لله لا لنفسي ويتبرح لمن تغتب عنده فان اثنى عليه عدو ذلك سر بالقطيعة حقه اذا ذكر عيوب
الناس عنده يوهم انه كاره لغيبة المسلمين وقلبه راض بذلك ومريد له ويكفيه اطلاع الله عليه
في ذلك وعلمه بما اخفاه باطنه الظاهر كصفة للمنافقين فهذا ونحوه من خفايا العيوب لا يفطن
له الا الاكياس ولا يتنزه منه الا الاقوياء ولا مطمع فيه لامثالنا من الضعفاء الا ان اقل الدرجات
ان يحقق الانسان عيوب نفسه ويكرهها ويحرص على اصلاحها واذا اراد الله بعبد خيرا بصره بعيوب
نفسه ومن سرته حسناته وساءته سيئاته فهو مرجو الحال وامره اقرب من المغرور المزكي لنفسه
الظان انه من خير خلقه فنعوذ بالله من الغفلة والاغترار ومن المعرفة بخفايا الذنوب مع الاهمال
هذا غرور الذين حصلوا العلم ولكن قصروا في العمل به ولنذكر الان غرور الذين قنعوا
بالعلوم بما لا يهمهم وتركوا المهم وهم بذلك مغترون اما لاستغنائهم عن اصل العلم واما لاقتصارهم
عليه ففرقة منهم اقتصروا على علم الفتاوى في الحكومات والخصومات وتفاصيل المعاملات الدنيوية
الجارية بين الخلق لمصالح المعايش وخصصوا اسم الفقه بها وسموه الفقه وعلم المذهب وربما
ضيعوا مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة فلم يتفقدوا الجوارح فلم يحرسوا اللسان عن الغيبة والبطن
عن الحرام والرجل عن المشي الى السلاطين الظلمة وكذا سائر الجوارح ولم يحرسوا قلوبهم عن الكبر
والرياء والحسد وسائر المهلكات فهؤلاء مغرورون من وجهين احدهما من حيث العمل والاخر من
حيث العلم اما العمل فقد ذكرنا وجه الغرور فيه وان مثالهم مثال المريض اذا تعلم نسخة الدواء
واشتغل بتكراره وتعليمه لا بل مثالهم مثال من به علة البواسير والبرسام وهو مشرف على الهلاك
محتاج لتعلم الدواء واستعماله فاشتغل بتعلم دواء الاستحاضة وبتكرار ذلك ليلا ونهارا مع علمه انه لا يحيض
ولا يستحاض لكن يقول ربما تقع علة الاستحاضة لامرأة وتسألني عنه وذلك غاية الغرور وكذا
المتفقه المسكين قد تسلط عليه حب الدنيا واتباع الشهوات والحسد والكبر والرياء وسائر المهلكات
الباطنة وربما يختطفه الموت قبل التوبة فيلقى الله وهو عليه غضبان فترك ذلك كله واشتغل
بعلم السلم والاجارة والظهار واللعان والجراحات والديات والدعاوى والبينات وبكتاب
الحيض ولا يحتاج الى شيء من ذلك في عمره لنفسه فاذا احتاج غيره له كان في المفتين كثرة وقد
دهاه

الشيطان وهو لا يعلم اذ يظن المسكين المغرور بنفسه انه مشغول بفرض دينه وما يدري ان الاشتغال
بفرض الكفاية قبل الفراغ من فرض العين معصية هذا لو كانت نيته صحيحة كما قال وكان قد قصد
بالفقه وجه الله فانه ان قصد وجه الله فهو باشتغاله به معرض عن فرض عينه في جوارحه
وقلبه فهذا غروره من حيث العمل واما غروره من حيث العلم فحيث اقتصر على علم الفتاوى وظن
انه علم الدين وترك علم كتاب الله والسنة وربما طعن في المحدثين وقال انهم نقلة اخبار وحملة اسفار
لا يفقهون وترك ايضا علم تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله بادراك جلاله وعظمته
وهو العلم الذي يورث الخوف والخشوع ويحمل على التقوى فتراه آمنا من الله مغترا به متكلا
على انه لا بد وان يرحمه فانه قوام دينه وانه لو لم يشتغل بالفتاوى لتعطل الحلال والحرام وقد
ترك العلوم التي هي اهم وهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع من تعظيم الفقه ولم يدر ان
الفقه بالله ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوى
اذ قال تعالى فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا
اليهم الاية والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ الاموال
بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل والجراحات والمال في طريق
الله آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة سلوك الطريق وقطع عقبات القلب
التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب بين العبد وبين الله فاذا مات العبد ملوثا بتلك الصفات ت
كان محجوبا عن الله فمثاله في الاقتصار على علم الفقه مثال من اقتصر من سلوك طريق الحج
على علم خرز الراوية والخف ولا شك في ان ذلك لو لم يكن لتعطل الحج ولكن المقتصر عليه
ليس من الحج في شيء وقد ذكرنا شرح ذلك في كتاب العلم ومن هؤلاء من اقتصر من علم الفقه
على الخلافيات ولم يهمه الا تعلم طريق المجادلة والالزام وافحام الخصوم ودفع الحق
لاجل الغلبة والمباهاة فهو طول الليل والنهار في التفتيش عن مناقضات ارباب المذاهب
والتفقد لعيوب الاقران والتلقف لانواع التشنيعات المؤذية وهؤلاء هم سباع الانس
طبعهم الايذاء وهمهم السفه ولا يقصدون العلم الا لضرورة ما يلزمهم لمباهاة الاقران
فكل علم لا يحتاجون اليه في المباهاة كعلم القلب وعلم سلوك الطريق الى الله بمحو الصفات